فانه يقول ان الآية قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة فهي مختصة بها لا يتجاوزها الى غيرها كانه تعالى قال انما
هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش فيجوز ان تصرف الصدقة الى الاصناف كلها ويجوز ان تصرف الى بعضها
وهو مذهب ابن عباس وحذيفة وجماعة من الصحابة والتابعين واما الشافعي فلا يرى صرفها الا الى
الاصناف المعدودة كلها وبه قال الزهري وعكرمة فان قلت فمن الغارم وابن السبيل قلت الغارمون
الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل هم الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو وان كان غنيا حيث ماله موجود فقير حيث هو بعيد عنه وقد سبق
تفسير الفقير والمسكين فيما تقدم قوله ع فقد احل بنفسه الذل والخزي اي جعل نفسه محلا لهما ويروى
فقد اخل بنفسه بالخاء المعجمة ولم يذكر الذل والخزي اي جعل نفسه مخلا ومعناه جعل نفسه فقيرا يقال اخل
الرجل اذا افتقر واخل به غيره وبغيره اي جعل غيره فقيرا وروي احل بنفسه بالحاء المهملة ولم يذكر الذل والخزي
ومعنى احل بنفسه اباح دمه والرواية الاولى اصح لانه قال بعدها وهو في الآخرة اذل واخزى وخيانة الامة
مصدر مضاف الى المفعول لان الساعي اذا خان الامة كلها وكذلك غش الائمة مصدر مضاف الى المفعول
ايضا لان الساعي اذا غش في الصدقة فقد غش الامام الاصل ومن عهد له عليه السلام الى محمد بن ابي بكر رحمه الله
لما قلده مصر فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى
لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم فان الله يسائلكم معشر عباده عن
الصغيرة من اعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فان يعذب فانتم اظلم وان يعف فهو اكرم واعلموا عباد
الله ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في
آخرتهم سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت فحظوا من الدنيا بافضل ما حظي به
المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح اصابوا
لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا انهم جيران الله غدا في آخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم
نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه واعدوا له عدته فانه يأتي بامر عظيم وخطب
جليل بخير لا يكون معه شر ابدا وشر لا يكون معه خير ابدا فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب
الى النار من عاملها وانتم طرداء الموت ان اقمتم له اخذكم وان فررتم منه ادرككم وهو الزم لكم من
ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم فاحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها
جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة وان استطعتم ان يشتد خوفكم من
الله وان يحسن به ظنكم فاجمعوا بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه
وان احسن الناس ظنا بالله اشدهم خوفا لله واعلم يا محمد بن ابي بكر اني قد وليتك اعظم اجنادي
في نفسي اهل مصر فانت محقوق ان تخالف على نفسك وان تنافح عن دينك ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر
ولا تسخط الله برضا احد من خلقه فان في الله خلفا من غيره وليس من الله خلف في غيره صل الصلاة
لوقتها المؤقت لها ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال واعلم ان كل شيء من عملك تبع
لصلاتك الشرح آس بينهم اجعلهم اسوة لا تفضل بعضهم على بعض في اللحظة والنظرة ونبه بذلك على وجوب
ان يجعلهم اسوة في جميع ما عدا ذلك من العطاء والانعام والتقريب كقوله تعالى فلا تقل لهما اف قوله عليه السلام
حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم الضمير في لهم راجع الى الرعية لا الى العظماء وقد كان سبق ذكرهم في اول
الخطبة اي اذا سلكت هذا المسلك لم يطمع العظماء في ان تحيف الرعية وتظلمهم وتدفع اموالهم اليهم
فان ولاة الجور هكذا يفعلون يأخذون مال هذا فيعطونه هذا ويجوز ان يرجع الضمير الى العظماء اي حتى لا
يطمع العظماء في جورك في القسمة الذي انما تفعله لهم ولاجلهم فان ولاة الجور يطمع العظماء فيهم ان يحيفوا

في القسمة

في القسمة في الفيء ويخالفوا ما حده الله تعالى فيها حفظا لقلوبهم واستمالة لهم وهذا التفسير اليق بالخطابة لان
الضمير في عليهم في الفقرة الثالثة عائدا الى الضعفاء فيجب ان يكون الضمير في لهم في الفقرة الثانية عائدا الى
العظماء قوله عليه السلام فان يعذب فانتم اظلم افعل ههنا لا بمعنى التفضيل وانما يراد فانتم الظالمون كقوله تعالى
وهو اهون عليه وكقولهم الله اكبر ثم ذكر عليه السلام حال الزهاد فقال اخذوا من الدنيا بنصيب قوي وجعلت
لهم الآخرة ويروى ان الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض الصحارى فاكلا كسرة يابسة واغترفا
بايديهما ماء من بعض الغدران وقام الفضيل فخاض برجليه في الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التي
هو فيها فقال لرفيقه لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا و
المتجر المربح فالرابح فاعل من ربح ربحا وربحا ويقال بيع رابح اي يربح فيه والمربح اسم فاعل قد عدي ماضيه
بالهمزة كقولك قام واقمته قوله ع جيران الله غدا في آخرتهم ظاهر اللفظ غير مراد لان الباري تعالى ليس
في مكان وجهة ليكونوا جيرانه ولكن لما كان الجار يكرم جاره سماهم جيران الله لاكرامه اياهم
وايضا فان الجنة اذا كانت في السماء والعرش هو السماء العليا كان في الكلام محذوف مقدر اي
جيران عرش الله غدا قوله عليه السلام فانه يأتي بامر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر ابدا وشر لا
يكون معه خير ابدا نص صريح في مذهب اصحابنا في الوعيد وان من دخل النار من جميع المكلفين فليس
بخارج منها لانه لو خرج منها لكان الموت قد جاءه بشر معه خير وقد نفى نفيا عاما ان يكون مع الشر
المتعقب للموت خير البتة قوله ع من عاملها اي من العامل لها قوله ع طرداء الموت جمع طريد اي يطردكم
عن اوطانكم ويخرجكم منها لا بد من ذلك ان اقمتم اخذكم وان هربتم ادرككم قال الراوندي طرداء ههنا
جمع طريدة وهي ما طردت من الصيد او الوسيقة وليس بصحيح لان فعيلة بالتأنيث لا تجمع على فعلاء وقال
النحويون ان قوله تعالى ويجعلكم خلفاء الارض جاء على خليف لا على خليفة وانشدوا لاوس بن حجر بيتا
جميعا فيه وهو بيت ان من القوم موجودا خليفته وما خليف ابي ليلى بموجود قوله ع الزم لكم من ظلكم
لان الظل لا تصح مفارقته لذي الظل ما دام في الشمس وهذا من الامثال المشهورة قوله عليه السلام معقود بنواصيكم
اي ملازم لكم كالشيء المعقود بناصية الانسان اين ذهب معه وقال الراوندي اي الموت غالب عليكم قال تعالى
فيؤخذ بالنواصي والاقدام فان الانسان اذا اخذ بالناصية لا يمكنه الخلاص وليس بصحيح لانه لم يقل اخذ
بنواصيكم قوله ع والدنيا تطوى من خلفكم من كلام بعض الحكماء الموت والناس كسطور في صحيفة يقرأها قارئ
ويطوي ما يقرأه فكلما ظهر سطر خفي سطر ثم امره عليه السلام بان يجمع بين حسن الظن بالله وبين الخوف منه
وهذا مقام جليل لا يصل اليه الا كل ضامر مهزول وقد تقدم كلامنا فيه وقال علي بن الحسين عليهما السلام
لو انزل الله عز وجل كتابا انه معذب رجلا واحدا لرجوت ان اكونه او انه راحم رجلا واحدا لرجوت ان اكونه
او انه معذبي لا محالة ما ازددت الا اجتهادا لئلا ارجع على نفسي بلائمة ثم قال ع وليتك اعظم اجنادي
يقال للاقاليم والاطراف اجناد تقول ولي جند الشام وولي جند الاردن وولي جند مصر قوله عليه السلام فانت
محقوق كقولك حقيق وجدير وخليق قوله ع واني لمحقوق بان لا يطولني نداه اذا طاولته بالقصائد و
ينافح يجالد نافحت بالسيف اي خاصمت به قوله ع ولو لم يكن الا ساعة من النهار المراد تاكيد الوصاة عليه
ان يخالف على نفسه اي لا يتبع هواها وان يخاصم عن دينه وان ذلك لازم له وواجب عليه ويلزم ان يفعله
دائما فان لم يستطع فليفعله ولو ساعة من النهار وينبغي ان يكون هذا التقييد مصروفا الى المنافحة عن الدين
لان الخصام في الدين قد يمنعه عنه مانع فاما امره اياه ان يخالف على نفسه فلا يجوز طرو هذا التقييد اليه لانه
يشعر بانه مفسوح له ان يتبع هوى نفسه في بعض الحالات وذلك غير جائز بخلاف المخاصمة والنضال عن المعتقد
قوله عليه السلام ولا تسخط الله برضا احد من خلقه فان في الله خلفا من غيره وليس من الله خلف في غيره احد

وحصلت

النهار

الحالات

Copyright ... University